8

من أوروبا إلى أوروبا ، عبر أفريقيا
مصر قاعدة ترانزيت ، لعودة أسرى الحرب السوفيت السابقين إلى الوطن (١٩٤٤ـ ١٩٤٥)

لم تترك الحرب العالمية الثانية أفريقيا في حالها . ففي الفترة من ١٣ سبتمبر عام ١٩٤٠ حتى ١٣ مايو ١٩٤٣ ، قامت قوات الحلفاء بعمليات عسكرية في شمال القارة ضد القوات الفاشية (دول المحور) . وبعد أن دحرت أمريكا وإنجلترا قوات العدو ، قامتا باستخدام أفريقيا بعد ذلك كقاعدة انطلاق لفتح جبهة ثانية في جنوب أوروبا . فقد استولت قوات الحلفاء على جزيرة صقلية الإيطالية في الفترة من يونية إلى أغسطس ١٩٤٣ ، وفي الثالث من سبتمبر بدأت قوات الحلفاء عمليات الانزال في إيطاليا ، وبحلول عام ١٩٤٤ تمكنت قوات الحلفاء من تحرير الجنوب الإيطالي بالكامل ، وأحكمت قبضتها على المنطقة المنيعة التابعة للقوات الفاشية "أورتونا ـ كاسينو" والتي تقع إلى الجنوب من العاصمة الإيطالية روما بحوالى ١٢٠ كيلو متر . وكلما تقدمت قوات الحلفاء نحو الشمال كانت تقوم بتحرير الأسرى من مختلف الجنسيات ، وكان من بينهم جنود سوفيت .

قامت سفارة بريطانيا العظمى المتواجدة في جمهورية مصر العربية في ١٠ يناير ١٩٤٤، بإبلاغ بعثة الاتحاد السوفيتي ، إنه طبقاً لما ورد إليهم من معلومات من السلطات العسكرية البريطانية ، فقد تم إطلاق سراح الشخصيات التالي ذكرها من الأسر وهم :

الملازم "بويكو بافل جيورجفيتش" ، كتيبة ٨٣٩ .
رقيب "تينوفوف فيودر دينوفيتش" ٤٨ سلاح المدرعات الجيش السادس .
رقيب "جريرانوف ألكسي نيكولافيتش" شعبة ١٠٣ .
الجندى "ستريجنوت فيدور سيميانوفيتش" كتيبة سائقين ١٠٥ .

الجندى " إيرجول ديمترى فاسيليفيتش " كتيبة ٩٧ .
الجندى " دوبنيتس نيكولاى ماكسيموفيتش" كتيبة ١٤٩ الجيش الثامن .
الجندى " تولستيخين بطرس إيفانوفيتش" ٨٥ سلاح المدفعية .

الممرضة " كوزمينا تيخونوفنا " المستشفي القوقازى رقم " ١ " [٢٥٣] ، لكن اسم "كوزمينا" لم يتم تحديده في الوثيقة .

نظراً لصعوبة نقل الأسرى السوفيت السابقين ، من خلال أقصر طريق إلى وطنهم، جراء استمرار العمليات العسكرية هناك ، فقد إتخذت السلطات البريطانية قرارا بترحيلهم من إيطاليا إلى مصر تمهيداً ؛ لنقلهم إلى وطنهم عبر بلدان الشرق الأوسط وإيران .

في الثانى والعشرين من يناير من عام ١٩٤٤ ، قامت بعثة الاتحاد السوفيتي في مصر بإبلاغ وزارة الخارجية الروسية بشأن المذكرة البريطانية [٢٥٤] ، وحيث أن الوقت مازال بعيداً لتطهير إيطاليا من الفاشيين ، فإن هذه المذكرة تعد تحديداً أول إشارة سيتبعها حتما معلومات أخرى على نفس النمط ؛ لذلك أرسلت " موسكو " إلى القاهرة ، وتحديدا إلى المقر العام للحلفاء في الشرق الأوسط الرائد " أنسيم فاسيليفيتش كاراسوف " [٢٥٥] ضابط الإتصال لعودة الأسرى العسكرين .

يصف الكاتب الأذربيجانى " سليمان فيلييف " ، وهو أحد العائدين من إيطاليا إلى مصر في مذكراته " ١ " فيقول : ينتمى "كاراسوف" إلى هؤلاء الناس الذين يتركون لديك إنطباعاً جيداً " ومن المدهش أن ملامح وجهه وعيناه ، كانتا تجمعان بين الشدة واللين ، وقد حاز على تعاطفنا جميعاً ، بمجرد أن تعارفنا عليه . وقد أعطى "كاراسوف" البعض من هؤلاء الأسرى المحررين المغادرين مصر عنوانه في "موسكو"، وفي عام ١٩٥٥ خلال زيارة "س . فيلييف" لموسكو قام بزيارته ، كما تبادلا بعد ذلك المراسلات [٢٥٦] .

---

٢٥٣ عن مقالة : Из Европы в Европу – Через Африку. Египет – перевалочная база репатриации бывших советских военнопленных 1944-1945 ، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى»، 2004، عدد 11-12 للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov. أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٠٧٨ وفق المرجع المصري ، محفظة رقم ٥، وثيقة رقم ٣١ .

٢٥٤ المرجع السابق .

٢٥٥ المرجع السابق ، محفظة رقم ٣ ، وثيقة رقم ٤ ، السطر ٣٥ .

٢٥٦ «فالييف سليمان» ، الطرق الى الوطن / مذكرات ، «فالييف . س» لؤلؤة المطر ، «موسكو» ١٩٦٣ من صـ ٢٩٣إلي ٣٠٢ .

في أواخر شهر مايو عام ١٩٤٤ وبعد عدة محاولات فاشلة ، تمكنت قوات الحلفاء في النهاية من إختراق خط دفاع العدو على خط "كاسينو- أرتون" ، وأخذت في التقدم نحو الشمال . وفي الرابع من يوليو تم تحرير "روما" ، وبحلول العام الجديد ، تم تطهير " الحذاء الإيطالي" من القوات الفاشية بالكامل ، وكانوا يسيطرون فقط على الجزء الشمالى .

ومنذ نهاية أغسطس ١٩٤٤ ، بدأت حشود الأسرى السوفيت السابقين في القدوم إلى مصر بأعداد غفيرة من إيطاليا ، حيث تشهد بذلك المراسلات بين السفارة البريطانية ، وبعثة الاتحاد السوفيتي في القاهرة ، وقد أرسل الدبلوماسيون البريطانيون لنظرائهم السوفيت الإخطارات التالية التي تفيد بوصول مجموعات من الأسرى السابقين إلى الأراضي المصرية :

في العشرين من سبتمبر ـــ ٥٣ ، و ٢٢٨٩ شخص[٢٥٧]
في السادس والعشرين من أكتوبر ـــ ٤٢ شخص[٢٥٨]
في الحادى عشر من أكتوبر ـــ ٨٦,١١١ و١٨٦٤ شخص[٢٥٩]
في الثامن عشر من أكتوبر ـــ ١١٠٠ شخص[٢٦٠]
في الثانى والعشرين من أكتوبر ـــ ٤٤ شخص[٢٦١]
في الرابع من نوفمبر ـــ ٩٦ شخص[٢٦٢]

يكون بذلك إجمالى أعداد أسرى الحرب السوفيت السابقين ، الذين قدموا من إيطاليا إلى الأراضي المصرية في عام ١٩٤٤ وصل إلى ٥٦٩٤ شخص ، وربما قامت السلطات البريطانية بتقديم قوائم كل مجموعة من المجموعات للجانب السوفيتي ، ولكنها غير موجودة في المراسلات الدبلوماسية .

فور وصول الأسرى السوفيت للأراضى المصرية ، تم تسكينهم في معسكرات ترانزيت أحد هذه المعسكرات كان يقع في منطقة «سيدي بشر» إحدى ضواحى الإسكندرية[٢٦٣] ويحمل رقم ١٩٠ ، والذي على ما يبدو ، أنه كان عبارة عن الثكنة البريطانية القديمة

٢٥٧ أرشيف السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٠٧٨ وفق المرجع المصري ، رقم المحفظة ٥ ، وثيقة رقم ٣١ ، السطر ٢ .
٢٥٨ نفس المصدر السابق ، السطر ٦ .
٢٥٩ المرجع السابق ، السطر ٩ .
٢٦٠ المرجع السابق ، السطر ١١ .
٢٦١ المرجع السابق ، السطر ١٢ .
٢٦٢ المرجع السابق ، السطر ١٧ .
٢٦٣ المرجع السابق ، السطر ١٧ .

التي أقيم فيها معسكر اللاجئين الروس فيها خلال الفترة فيما بين عامى ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢ [٢٦٤] والمعسكر الثانى الذي كان يحمل رقم ٣٠٧ كان يقع في «جنيفا» على شاطىء البحيرات المرة الصغيرة ، والتي عبرها يمتد الجزء الجنوبى لقناة السويس ، وبجواره كان يوجد المعسكر الثالث الذي كان يحمل رقم ٣٠٦ ، كان المعسكر رقم ٣٨ يقع إلى الشمال منه على شاطىء البحيرات المرة الكبرى [٢٦٥] ، وفي منطقة «التل الكبير» (وهى المنطقة الواقعة بين القاهرة والاسماعيلية) ، كان يتواجد المعسكران رقمى ٣٠٥ ، ٣٧٩ ، كما كان هناك معسكران بالقرب من مدينة «القاهرة» في ضاحية «العباسية» يحمل رقم ١٥٢ وآخر في ضاحية «المعادى» [٢٦٦] (لكن لم يذكر رقمه) ، أما المعسكر الذي كان يحمل رقم ١٥٧، على الرغم من أنه قد ورد ذكره في المراسلات الدبلوماسية ، إلا أنه لم يعرف مكانه بالضبط ، لكن من الملاحظ أنه في وقت مبكر من العام ١٩٢٠ قد تم تسكين اللاجئين الروس في «العباسية» و «التل الكبير» و «سيدى بشر» [٢٦٧] .

في المقبرة العسكرية البريطانية الواقعة في القنطرة شرق ، على شاطىء الجزء السيناوى من قناة السويس يوجد قبران لإثنين من العسكرين السوفيت أحدهم يدعى « ف.زمبيربنج» ، والذي توفي في الثامن من أكتوبر ١٩٤٤ والثانى الرقيب «ى.كارسين» والمتوفي في الثانى والعشرين من أكتوبر من العام نفسه [٢٦٨] ، وعلى ما يبدو أن الجنديين قد توفيا داخل المستشفي التي تقع في «القنطرة» ، حيث توجد المقابر العسكرية البريطانية إلى الشمال من مدينة «القنطرة» ، في «بور سعيد» ، وإلى الجنوب في «التل الكبير»، فلو كانت المستشفي حيث توفي الجنديان بعيداً عن مدينة «القنطرة» ، ليتم دفنهما في مكان آخر ، ولكن على الأرجح أن المعسكر الذي نقلا منه إلى المستشفي ، هو المعسكر الذي كان يحمل رقم ١٥٧ ويقع على مقربة من المستشفي .

---

٢٦٤ لوصف المخيم ، أنظر كتاب فلاديمير بيلياكوف : «عند شواطئ النيل المقدس» الروس في مصر ، موسكو ٢٠٠٣ ، من صـ ١٥٢ إلى١٦٣ .

٢٦٥ فالييف . س «المرسوم» ، صـ ٢٩٢ .

٢٦٦ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، وثيقة رقم ٤٢٧ .

٢٦٧ فلاديمير بيلياكوف «المرسوم» من صـ ١٣٦إلى١٥١ .

٢٦٨ فلاديمير بيلياكوف «مقبرة الروس في مصر» ، موسكو ٢٠٠٣ ، كُتب لفظ «كراسين» بالخطأ علي شاهد المقبرة «كراسي» ، وتم التوصل إلى اللقب الصحيح (بفضل الرجوع إلي الوثائق الأرشيفية بالأرشيف الخاص بالسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٠٨٧٥ محفظة رقم ٥ ، وثيقة ٣١) وهو ما ذكره مكتب تمثيل «Commonwealth War Graves Commission» بالقاهرة والمسؤول عن حماية مقابر الإنجليز في جميع أنحاء العالم .

من المثير للدهشة ، أن قبرى الجنديين الروسيين «زمبيرنيج و كارسين» هما القبرين الوحيدان للعسكريين السوفيت الذان لقيا حتفهما في عام ١٩٤٤ في مصر ، وقد قام الإنجليز بدفنهما في أحد مدافنهم . ويشير « س.فيلييف» أن جندياً داخل معسكر اللاجئين رقم ٣٠٧ أقدم على الانتحار غير أن اسمه غير معلوم ، كما لا يعرف مكان دفنه[٢٦٩] . ومن المحتمل أن هذا كان أخر خسائر الأسرى السابقين في عام ١٩٤٤ على الأراضي المصرية . على الأقل لم نعثر في سجلات ١٠ مقابر خاصة بالجنود البريطانيين بطول البلاد وعرضها ، أو في الوثائق أو في المصادر الأدبية معلومات أخرى عن خسائر في صفوف الأسرى السابقين خلال فترة إقامتهم في مصر .

يروى لنا «سليمان فلييف» بعض الحوادث المثيرة للاهتمام حول الوضع داخل معسكر الترانزيت رقم ٣٠٧ : «أنه لدى وصول الأسرى السابقين ، وبمشاركة المقدم « كاراسوف» تم تشكيل كتيبة من الجنود الموجودين داخل المعسكر . وفي السابع من يناير قام أفراد الكتيبة بتقديم عرض عسكري أمام مقر القيادة بمناسبة الذكرى السنوية لثورة أكتوبر ، في حين قام الجنود من الأسرى الألمان المتواجدين في المعسكر المجاور بالصياح ، ورشق الجنود المشاركين في العرض بالحجارة ، مما دفع الرقيب «كراسوف» للتوجه إلى الضابط الأمريكى قائد معسكر الألمان ، وفي غضون دقائق هدأ الأسرى الألمان ، وبعد الانتهاء من العرض العسكري أقيمت حفلة موسيقية شارك فيها عدد من الفنانين الهواة ، وكانت هذه الحفلات ، والأمسيات الأدبية تقام بعد ذلك أسبوعياً كل يوم أحد» .

يستمر " فيلييف" في روايته عما كان يحدث داخل معسكر٣٠٧ [٢٧٠] للاجئين فيقول : " قبل العيد قام الأسرى السابقين ، الذين ربما كان بينهم عدد لا بأس به من الجنود الأذربيجان بتقديم العرض الموسيقى الكوميدى الأذربيجانى الشهير " أرشين مال آلان " للموسيقى الشهير "جاد جيبكوف " ، وحقق العرض نجاحاً مبهراً ، حيث لم ينل إعجاب الأسرى فقط ، بل والمصريون أنفسهم . وقد جاء إلى عروضنا سكان القرى المجاورة، وقد سمعنا العرب في الشوارع يدندنون بأشهر الألحان الأذربيجانية ، أمثال " أسكر" و " جولتشوخرا " ، حتى الشباب يتغنون بأشهر ألحان الأوبريتات الأذربيجانة " .

٢٦٩ «س. فيلييف»، «المرسوم» صـ ٢٩٨ ومن صـ ٢٣١ إلى ٣٠٣ .
٢٧٠ المرجع السابق . من صـ٢٩١ إلى ٢٩٨ .

استناداً إلى ما ذكره الكاتب في مذكراته ، فإن الجنود الأسرى لم يكونوا بمعزل عن السكان المحليين . وفي طريقهم إلى المعسكر توقف القطار الذي كان يقلهم من بورسعيد بعد وصولهم من إيطاليا لمدة طويلة في مدينة الاسماعيلية ، مما أتاح لهم مشاهدة معالم المدينة . وقد شاهد المصريون العرض العسكري في السابع من نوفمبر، وكانوا يأتون إلينا " يومياً فرادى أو في جماعات ، ويتبادلون معنا أطراف الحديث ويمطروننا بالأسئلة ..." وعندما حان وقت الرحيل ، امتلأت محطة القطار بحشود هائلة من وفود الشعب المصري الذي جاء لوداع الجنود الروس .

يرسم " سافيلى ياكوفيليتش شيريايف" لوحة أخرى في رسائله . وقد ولد في ١٩٢٤، ويعيش الآن في " منرالني فودي" . وقد تعرف الكاتب على حفيد ذلك الرجل في القاهرة عام ٢٠٠٠ ، وقد أخبر الكاتب بمصير جده ، الذي تم ترحيله عبر الأراضي المصرية إلى بلاده ، وقد حصل الكاتب على عنوانه . تم إطلاق سراح شيريايف من الأسر في الثانى من يونيو ١٩٤٤ من قبل قوات الحلفاء أثناء هجومها على "روما" ، ونقل بعد ذلك مع الأسرى السوفيت السابقين ، بالباخرة من ميناء " ميلانو" إلى ميناء " الإسكندرية" . وعلى حد قوله : " لم يسمح الحراس للأسرى السابقين بأن يتحدثوا مع المصريين ، حتى أن خط سير الرحلة قد تم وضعه ، بحيث يتجنب المرور بالمناطق المأهولة بالسكان" [٢٧١] .

ذكر " س .فيلييف" أن الإدارة الأمريكية للمعسكر ، كانت تحاول إقناع الجنود بعدم العودة لبلادهم وترهبهم دائماً بـ " سيبيريا" ..! وذات مرة تم زرع ضباط بولنديين سابقين من جيش الجنرال " أندريس" داخل المعسكر لنفس الهدف ، ولكن ذكر المؤلف أن هذه المحاولات باءت بالفشل .

لم يذكر كل من " س.فيلييف" [٢٧٢] أو " س . يا . شيريايف" أية معلومات بخصوص ماهية معسكرات الترانزيت ، وهل كانت ثكنات عسكرية أم مجرد خيام عادية ؟ . ولم يرد شيء بهذا الخصوص في أية وثائق من المتاحة لدينا ، بيد أنه قد تم الإشارة في إحداها أن الحلفاء قاموا بتوفير تغذية للأسرى السابقين بنفس معدلات تغذية الجنود الإنجليز ، وبزات عسكرية بريطانية ، طبقا لفصول السنة [٢٧٣] .

٢٧١ أرشيف المؤلف ، ملف «الروس في مصر» ، وثيقة رقم٨ ، السطور : ٣ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ .
٢٧٢ فيلييف «المرسوم» من صـ ٢٩٦ إلى ٢٩٨ .
٢٧٣ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم ١ ، وثيقة ٤٢٧ .

في الثامن من ديسمبر ١٩٤٤ ، تم نقل الأسرى السابقين للمعسكر رقم ٣٠٧ ، والذي كان من ضمنهم " س.فيلييف" إلى السويس بالقطار . ومن هناك نقلوا على متن باخرة إلى ميناء البصرة العراقى ، وبعد أسبوعين من وصولهم إلى البصرة ، نقلوا مرة أخرى من هناك بالقطار إلى طهران . وهناك أمضوا فترة وجيزة ، نقلوا بعدها بالقطار إلى ميناء "بندرشاه" المطل على بحر قزوين . ومن هناك وعلى متن البارجة " تركمنستان" [٢٧٤] نقل الأسرى السابقين إلى " باكو" [٢٧٥] .

تمت عودة الجندي " س.أ شيريابيف" بطريقة أخرى . فقد تم ترحيله ضمن مجموعة من الأسرى السابقين ، داخل إحدى الشاحنات التجارية ، والتي كانت تحمل العلامة التجارية " ستوديبيكر" مباشرة إلى " طهران" ، وذلك عبر الأراضي : " الفلسطينية والعراقية " ، ثم واصلوا رحلتهم في الطريق من "طهران" إلى " باكو" في عربات النقل .

من خلال الوثائق الأرشيفية يتضح " أن العائدين كان يتم نقلهم من مصر عبر خط السكك الحديدية الذي كان يمر داخل أراضى " فلسطين وسوريا والعراق وإيران" وفي عام ١٩٤٥ نُقل البعض بواسطة البوارج البريطانية إلى " إيطاليا " ومنها إلى " الاتحاد السوفيتي " بالقطار عبر " فيينا " [٢٧٦] .

عقب انتهاء الحرب ، تم نقل اللاجئين إلى الوطن مباشرة عن طريق البحر . وقد أشار " ب. بوليان" أنه في الثامن والعشرين من أغسطس ١٩٤٥ أبحر نحو ٢٦٤٠ جنديّ من ميناء " بورسعيد" على متن البارجة النرويجية [٢٧٧] إلى ميناء " أوديسا" .

أبلغ الدبلوماسيون البريطانيون ، البعثة السوفيتية بنقل الأسرى السابقين إلى طهران. وقد تضمنت خطاباتهم في عام ١٩٤٤ المعلومات الآتية :

في السادس والعشرين من سبتمبر ـ ٣٨,٤٧ و٢٥٢ شخص [٢٧٨]

٢٧٤ فيلييف «المرسوم» من صـ ٣٠٣ إلى ٣١٠ .
٢٧٥ أرشيف المؤلف ، ملف «الروس في مص» وثيقة رقم ٨ .
٢٧٦ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم ١ ، وثيقة رقم ٤٢٧ .
٢٧٧ بوليان بافل ، «ضحايا ديكتاتوريين» ، أسرى الحرب بالرايخ الثالث وعملية إعادتهم إلي أوطانهم ، موسكو ١٩٩٦ ، صـ ٢٢٤ .
٢٧٨ أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، محفظة رقم ٥ ، وثيقة رقم ٣١ ، السطر السادس.

وفي العاشر من أكتوبر ـ ٥٠ و٢٨٧ شخص [٢٧٩] .
في الثامن عشر من أكتوبر ـ ١٩٠ شخص [٢٨٠] .
في التاسع من نوفمبر ـ ٢٨ و٩٤٢ شخص [٢٨١] .
في السابع من ديسمبر ـ ١٠٣ شخص [٢٨٢] .

من واقع المراسلات الدبلوماسية ، تم في الفترة من سبتمبر إلى ديسمبر ١٩٤٤ وتحديداً من داخل معسكرات الترانزيت في مصر ، ترحيل ما يقرب من ٢٠٦٦ أسير سوفيتي سابق إلى طهران [٢٨٣] . ونلاحظ أن " ب. بوليان " أورد رقماً متواضعا جدا وهو ٢٨٢ شخص فقط . وإذا حسبنا طبقا للخطابات البريطانية خلال تلك الفترة ، أنه تم ترحيل ٥٦٩٤ أسير سابق إلى مصر ، توفي منهم ثلاثة أشخاص ، يكون عدد الأسرى السوفيت السابقين المتواجدين على الأراضي المصرية ٣٦٢٥ في الأول من يناير ١٩٤٥ م .

على مايبدو أن عدد الأسرى السوفيت ، كان أكبر من العدد الذي جاء في الوثائق الدبلوماسية ، فقد أشار " س.أ شيريايف " أنه قد عاد إلى الوطن في أغسطس [٢٨٤] ، رغم أن المذكرة البريطانية ذكرت أن أول مجموعة من العائدين ، قد غادرت الأراضي المصرية يوم الرابع والعشرين من سبتمبر [٢٨٥] . من ناحية أخرى ، لم ترد أية معلومات عن ترحيل مجموعة "س .فيلييف" في الثامن من شهر ديسمبر . وحقيقة تمت الإشارة في الوثائق إلى ترحيل مجموعة من ١٣٠ شخص في السابع من ديسمبر إلى طهران ، ولكن من معسكر رقم ١٥٧، وليس من معسكر ٣٠٧ ، حيث تواجد س. فيلييف ، وثانياً حجم هذه المجموعة لاتتناسب مع عدد الفوج [٢٨٦] .

٢٧٩ المرجع السابق ، السطر الثامن .
٢٨٠ المرجع السابق ، السطر الحادي عشر .
٢٨١ المرجع السابق ، السطر العشرين .
٢٨٢ المرجع السابق ، السطر السادس والعشرين .
٢٨٣ بوليان . ب المرجع السابق ، صـ ٢٢٦ .
٢٨٤ أرشيف المؤلف ، ملف الروس في مصر ، وثيقة رقم ٨ السطر الثالث .
٢٨٥ أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، حافظة رقم ٥ ، وثيقة ٣١ ، سطر ٦ .
٢٨٦ المرجع السابق ، السطر ٢٦ .

وفقاً لـ " ب. بوليان" أنه بحلول فبراير ١٩٥٤ [٢٨٧] تم عودة ما يقرب من ١١٢٩٢ أسير عبر الأراضي المصرية. هذا الرقم ضعف العدد الذي لدينا ، إستناداً إلى الوثائق الدبلوماسية[٢٨٨]، ولعل الكاتب قد استند إلى مصادر أخرى غير التي بين أيدينا ، فأحصى أولئك الأسرى العائدين، الذين لم يرد ذكرهم في الوثائق البريطانية. بالإضافة إلى الأعداد التي تشمل المرحلين في عام ١٩٤٣ ، والذين كان قد تم تحريرهم من قبل الحلفاء ، أثناء المعارك العسكرية التي دارت في شمال أفريقيا [٢٨٩] .

بحلول عام ١٩٤٤ ، بات من الصعب على الرائد "كاراسوف" أن يقوم وحده بالمهمة الملقاة على عاتقه ، نظراً لكثرة أعداد الأسرى ، وإنتشارهم في معسكرات الترانزيت. وكما ذكر "س.فيلييف" ربما مع رغبة الجنود في العودة إلى الوطن لم يكن الطريق مفروشاً بالورود . يروى "ن. د. تولستوي" أنه كان على الأقل في كل مجموعة من الأسرى السابقين يوجد أشخاص تساورهم المخاوف من العودة إلى أرض الوطن .

مع بداية تحرك الجيش السوفيتي ، خارج حدود الاتحاد السوفيتي [٢٩٠] وإنتقال المعارك إلى شرق أوروبا أصبحت أعداد الجنود المحررين من الأسر في تضاعف مستمر مثل كتلة الثلج وكانت عملية إعاشتهم وعودتهم إلى أرض الوطن ، مشكلة لم يقدر الجيش المحارب على حلها . لذلك إتخذ مجلس مفوضى الشعب في ٢٣ أكتوبر ١٩٤٤ قراراً بإنشاء لجنة تابعة للمجلس تختص بشئوون الأسرى والمعتقلين [٢٩١] . وقامت الإدارة بدورها بتشكيل عدد من البعثات خاصة بعودة الأسرى المحررين ، تتوجه إلى عواصم الحكومات المختلفة في المناطق ، التي توقفت فيها الأعمال العسكرية أو أوشكت على الانتهاء . وفي يناير عام ١٩٤٥ توجهت هذه البعثة إلى مصر وكان من ضمنها :

---

٢٨٧ بوليان .ب ، المرجع السابق ، صـ ٦٢٢ ، وفقاً للوثائق الخاصة بإدارة شئون التراحيل - التي كُشف النقاب عنها في عام ٢٠١٢ ، فقد وصلت أول مجموعة من الجنود السوفيت الأسرى إلي مصر في يوليو/ تموز ١٩٤٤ وتم ترحيل حوالي ١٠٤٠٠ جندي منها . أنظر فلاديمير بيلياكوف " العبور عبر أفريقيا " ، رودينا ، ٢٠١٣ من صـ١١٢ إلى ١١٤ .

٢٨٨

٢٨٩ عن ترحيل الجنود الأسرى السوفيت من مصر ١٩٤٣ من كتاب سولجينيتس ، (نوفي مير ، ١٩٨٩العدد ٨ ، صـ٥١) وكذلك من شهادات كتاب فلاديمير بيلياكوف «أفريقيا المأوى» موسكو ، ٢٠٠٠ من صـ ٢٣٣ إلى٢٣٦ ، وأشار إلي ذلك أيضاً ب.بوليان (مرسوم صـ ٢٢٢) ون.د تولستوي «ضحايا يالطة» موسكو ، ١٩٩٦ من صـ٥٢ إلى٥٣ ، ولم يتم التوصل حتى الآن إلى عدد المرحلين بالضبط .

٢٩٠ تولستوي.ن.د المرجع السابق ، صـ ٥٣ .

٢٩١ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم٩٥٢٦ .

العقيد "مايكل ستافروف"... رئيساً للبعثة .
الرائد "بافل بيلايف"...نائباً لرئيس البعثة .
المقدم "ألكسندر ديميدوف"...نائب للرئيس .
الرائد "بافل دوركين"...مساعداً للرئيس .
الرائد "فاسيل نازاروف" مساعداً للرئيس .
الرائد "نيكولاى سيمين" مساعداً للرئيس .
الرائد "نيكولاى تشاينيتشيكوف" مساعداً للرئيس .
الكابتن "جالينا تاراسوفا"...مترجمه .
ملازم"كورين أنداتيكين"...مترجماً .
ملازم أول "ألكسي باخروف"...مترجماً .

وكانت البعثة تضم "كاراسوف" كمساعد لرئيس البعثة ، وترقى إلى رتبة مقدم[٢٩٢] .

وصلت القاهرة بعثة الاتحاد السوفيتي ، الخاصة بعودة الأسرى المحررين في الرابع والعشرين من شهر يناير ١٩٤٥[٢٩٣] ، و إستمر عملها أكثر من عام . وإنتهت من عملها وغادرت عائدة إلى الوطن في بداية فبراير ١٩٤٦[٢٩٤] ، ولكن لسوء الحظ أن الأرشيف الخاص بالبعثة والمحفوظ في الأرشيف الحكومي الروسي غير متاح للباحثين ! كان الاستثناء تلك المعلومة الموجزة عن عملية عودة المواطنين الروس من مصر ، والتي كتبها ، ووقع عليها على الأرجح في بداية فبراير ١٩٤٦ ، الرائد "سيمين" ، ولكن هذه الوثيقة غير مؤرخة . وقد ورد فيها أن الجنود الروس كانوا يتواجدون في المعسكر رقم ٣٠٧ في الفترة من يناير حتى مارس ١٩٤٥ . وكانت المغادرة الرئيسية في أبريل ١٩٤٥ ، دون الإشارة إلى أعدادهم. وفي وقت كتابة هذه الوثيقة ، لم يكن هناك أي مواطنين سوفيت مسجلين، لنقلهم إلى الاتحاد السوفيتي من مصر[٢٩٥] .

وحيث أنه تمت الإشارة في الوثيقة إلى أنه في عام ١٩٤٥ كان المواطنون السوفيت يتواجدون فقط في المعسكر رقم ٣٠٧ ، وأن المغادرة الرئيسة تمت في أبريل من نفس

٢٩٢ أرشيف الخارجية الروسية ، ملف رقم ٠٧٨ ، حافظة رقم٦ ، وثيقة رقم٣ السطر ٦ .
٢٩٣ المرجع السابق ، محفظة رقم ٨ ، وثيقة رقم٤٧ السطر ٥ .
٢٩٤ المرجع السابق ، محفظة رقم ١٠، وثيقة رقم٢ ، السطر٢٧ .
٢٩٥ الأرشيف الحكومي لروسيا الاتحادية ، ملف رقم ٩٥٢٦ ، محفظة رقم١ ، وثيقة رقم٤٧٢ سطر ٣ ، ٧ .

العـام . هنا تسـاورنا بعض الشـكوك بخصوص إحدى الحقائق التي أوردهـا " ب. بوليان " . فعلى مايبدو أن العائدين من المواطنين السوفيت من ميناء "بورسعيد" إلى ميناء " أوديسا" في ٢٨ أغسـطس ١٩٤٥ ، والذي بلغ عددهم ٢٦٤٠ مواطن روسـي قد تم نقلهم من بلد آخر ، أو عدة بلدان . وكانت " بورسـعيد" إحدى المحطات التي توقفت فيها البارجة ، في طريقها إلى ميناء "أوديسا".

أورد "ن.د. تالسـتوى" الواقعـة التاليـة : في نقطة تجمع الجنـود المحررين في مدينة أفـيرس الواقعة بالقـرب من نابولى الإيطالية ، رفض حوالى ٨٠٠ جندي شيشـانى وأنجوشـي مسلم من مواطنى الاتحاد السوفيتي العودة إلى أوطانهم . وتم ترحيلهم إلى مصر تحت رعاية الملـك فـاروق ، وتم توزيعهم علـى البلدان العربية بغـرض الاقامة الدائمـة[٢٩٦] ، إلا أنه لم يتم العثـور علـى الوثائق التي تؤكد هـذه الحادثة حتى الآن . من الجديـر بالذكر أن كتاب " تالستوى" الذي ينحدر من سلالة أحد المهاجرين قد نُشر أولا في إنجلترا ، ويعتمد فقط على المصادر الغربية ، ولهذا السبب فهو يحمل طابعاً أحادياً بوضوح .

تعد عملية نقل المواطنين السوفيت إلى بلادهم عبر الأراضي المصرية صفحة محدودة الشـهرة في التاريـخ الوطنـى والعلاقات الإنسـانية بين البلدين . فعلـى مايبدو أن الجنود المرحلين قد أتيحت لهم الفرصة للتواصل مع المصريين . فقد كان مع أولئك الجنود كثير مـن المقاتلـين الذيـن حاربـوا ضمن القـوات الدوليـة في " إيطاليـا " ، حيث فرضـت عليهم الظـروف تعلم اللغات الأجنبية المختلفة ، لذلك لم يشـعر مواطنونـا بحاجز اللغة في تعاملهم مع المصريين الذين - بالطبع - ، يعرفون اللغة الإنجليزية والفرنسية .

علـى سـبيل المثـال أورد "س. فيلييـف" ، الحـوار الـذي دار بينـه وبين أحد المدرسـين المصريـين المهتمـين بأوضـاع المسـلمين ، داخل جمهوريات الاتحاد الاشـتراكى السـوفيتي آنـذاك . قـال وهـو يتذكر مغادرتهـم للمعسـكر : "كان العرب يدعـون الله من أجلنا ، ومـن أجـل عودتنـا بسـلام إلى أرض الوطـن ، ومـن أجـل سـعادتنا ، وقدمـوا لنـا الفواكه كـ " الكاكى أو الكاكا" [٢٩٧]* و "التين"[٢٩٨] ويذكر أن بعض الجنود كان ينتابهم شـعور بالخجل ويمتنعون عن أخذها ، ولكـن كان المصريون يضعونها عُنوة في أيديهم، أو يدسونها في جيوبهم..!

٢٩٦ ن.د تولستوي ، المرجع السابق ، صـ ٣٥٠ .
٢٩٧ * فاكهة الكاكى .
٢٩٨ فيلييف ، المرجع السابق من صـ ٣٠٠ إلي ٣٠٢ .

مع إقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها أصبح الاهتمام في مصر بالاتحاد السوفيتي كبيراً ، وتميزت علاقة المصريين بالمواطنيين السوفيت بالتعاطف الصادق . وفي السادس والعشرين من أغسطس ١٩٤٣ تم أخيراً إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين، وفي نوفمبر من هذا العام وصلت القاهرة البعثة السوفيتية . وفي الخامس عشر من مايو ١٩٤٤ كان عرض الفيلم الوثائقى "ستالينجراد" في دار سينما "الأوبرا" إشارة بدء حملة لجمع التبرعات لمساعدة مواطني اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية . حضر العرض السينمائى كافة أطياف النخبة السياسية المصرية ، وعلى رأسها الملك فاروق [٢٩٩] . وقد ذكرت المجلة الأمريكية "كوليرز" في عددها الصادر بتاريخ ١٧ فبراير عام ١٩٤٥ أنه "قد ساد بين الأوروبيين ، وكذلك المصريين شعور بأن روسيا انتصرت في الحرب فعليا بدون مساعدة أحد [٣٠٠] .

نظر الشعب المصري إلى الجنود كممثلين لقائمة الدول المنتصرة في الحرب العظمى، وقد أشار "س. فيلييف" : "أنهم قالوا لنا إننا بالنسبة إليهم نمثل الشعب السوفيتي ، وعبروا عن مشاعرهم الطيبة نحونا ، وعن حبهم للشعب السوفيتي و لبلادنا" [٣٠١] . وربما قد حكى المصريون الذين اتيحت لهم الفرصة بالتواصل مع المواطنيين السوفيت عن ذلك فيما بعد ، لذويهم وأقربائهم .

ولكن آلاف الجنود الذين تواجدوا داخل مخيمات الترانزيت ، في مصر قد نقلوا بالفعل انطباعاتهم عن هذه البلد إلى وطنهم " . ذكر "س.فيلييف" " أنهم سعوا إلى التعرف على حياة العرب عن كثب ، وقد كانت بالفعل صعبة ، وكنا نشعر بالتعاطف العميق معهم . وقد وصلت إليهم هذه المشاعر وشعروا نحونا بالامتنان العميق ، ولقد أحببنا هذا الشعب الطيب القلب والمضياف بطبعه [٣٠٢]..." .

تأثر "فيلييف" بإقامته في مصر، والعراق فقام بكتابة "قصص عربية" . وقد ترجم البعض منها مثل "شجرة التين" و "أحلام فلاح" و "إبريق الماء" إلى اللغة الروسية [٣٠٣] ، الأمر الذي ساعد على توسيع معرفتنا ببلد النيل وشعبها العظيم .

---

٢٩٩ نوفيكوف . ن «طرق الدبلوماسي» موسكو ١٩٧٦ ، صـ ١٠٢ .
٣٠٠ أرشيف الخارجية الروسية / ملف ٠٧٨ ، الحافظة رقم٨ ، وثيقة١٨ ، السطر٩ . فيلييف . س المرجع السابق ، صـ٢٩٤ .
٣٠١
٣٠٢ المرجع السابق .
٣٠٣ المرجع السابق من صـ ٢٣٤ إلى صـ ٢٥٤ .